

رَمَضَانُ

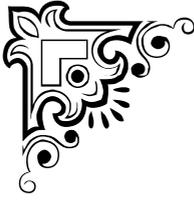
دَعْوَةٌ لِلوَحْدَةِ وَالْإِتِّلَافِ

جَمْعٌ وَتَرْتِيبٌ

مِنْ خُطَبٍ وَمُحَاضِرَاتٍ فَضِيلَةَ الشَّيْخِ:

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَلَمَانَ

حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى



الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ اللَّهَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- أَرْسَلَ نَبِيَّهُ ﷺ؛ لِيَهْدِيَ بِهِ الْخَلْقَ إِلَى الصِّرَاطِ
الْمُسْتَقِيمِ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ الشَّرِيفِ كِتَابَهُ الْعَظِيمَ؛ هِدَايَةً وَنُورًا، وَرُوحًا مِنْ
أَمْرِهِ يُحْيِي بِهِ اللَّهُ مَوَاتَ الْقُلُوبِ، وَيُنِيرُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ الظُّلُمَاتِ لِأَصْحَابِ
الْبَصَائِرِ وَالْبَصَرِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَأْخُذَ اللَّهُ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى جَنَّاتِ الْخُلْدِ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ.

وَجَعَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدًا ﷺ دَاعِيَةً اتِّلافٍ، لَا دَاعِيَةَ اخْتِلافٍ.

وَجَعَلَهُ رَبُّهُ جَلَّ وَعَلَا دَاعِيَةً إِلَى الْوَحْدَةِ وَالإِجْتِمَاعِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ ﷺ دَاعِيًا إِلَى
الْفُرْقَةِ وَالإِخْتِلافِ.

وَأَتَاهُ اللهُ مَا يَجْمَعُ اللهُ بِهِ شَمَلَ الْمُسْلِمِينَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَيُوَحِّدُ اللهُ بِهِ الْقُلُوبَ فِي وُجْهَتِهَا وَقَصْدِهَا، وَالْأَقْدَامَ فِي مَسِيرِهَا وَسَيْرِهَا، وَأَتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَلَ الْخِطَابِ.

وَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْوَحْيِ الْمَعْصُومِ لَا يَأْتِيهِ الزَّيْغُ وَلَا الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، وَبَلَغَ ﷺ الرِّسَالََةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَكَشَفَ الْغُمَّةَ، وَجَعَلَهَا عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ.

جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْوَحْيَيْنِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَنِ، وَمَهُمَا تَأَمَّلْتَ فِيهِمَا وَجَدْتَ دَاعِيَ اللهِ ﷻ هَذِهِ الْأُمَّةَ إِلَى الْوَحْدَةِ وَالإِجْتِمَاعِ وَنَبَذِ الْفُرْقَةَ وَالإِخْتِلافِ.

وَبَيْنَ لَنَا رَبُّنَا - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - أَنَّ التَّنَازُعَ يُؤَدِّي إِلَى الْفِشْلِ، وَأَنَّ الْفِشْلَ يُؤَدِّي إِلَى الدَّمَارِ وَذَهَابِ الْقُوَّةِ، ﴿وَلَا تَنَزَعُوا أَنْفُسَكُمْ فَيُكْفَرُوا بِكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وَالْأَخْذُ بِعَدَمِ التَّنَازُعِ شَدِيدٌ؛ لِأَنَّ الطَّبَعَ رَبُّمَا حَضَّ عَلَيْهِ، وَرَبُّمَا دَعَتِ الْغَرِيزَةُ إِلَيْهِ؛ فَعَقَّبَ اللهُ ذَلِكَ الْأَمْرَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاصْبِرُوا﴾، فَبَيْنَ لَنَا رَبُّنَا - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنِ التَّنَازُعِ حَتَّى لَا يَتَوَرَّطَ فِي الْفِشْلِ إِلَّا إِذَا حَالَفَهُ تَوْفِيقُ اللهِ بِالصَّبْرِ.

مَظَاهِرُ وَحْدَةِ الْأُمَّةِ فِي الْعِبَادَاتِ

عِبَادَ اللَّهِ! الرَّسُولُ ﷺ كَانَ حَرِيصًا غَايَةَ الْحِرْصِ عَلَى جَمْعِ الشَّمْلِ، وَنَبَذَ
الْفُرْقَةَ، وَتَرَسِيخَ الْإِتِّلَافِ، وَنَبَذَ الْخِلَافِ، حَتَّى فِي الشَّكْلِ الظَّاهِرِ.

كَانَ يَحْرِصُ ﷺ غَايَةَ الْحِرْصِ عَلَى أَنْ تَكُونَ الْعِبَادَةُ عَلَى صُورَةٍ مُتَمَاثِلَةٍ،
فَإِذَا قَامَ النَّاسُ عَلَى صُفُوفِهِمْ فِي صَلَاتِهِمْ، وَقَامَ أَمَامَهُمْ ﷺ إِمَامًا لَهُمْ؛ يَلْتَفُتُ
إِلَيْهِمْ، فَيَقُولُ ﷺ - مُحَدِّثًا وَمُبَشِّرًا، وَأَمِيرًا وَمُنذِرًا -: «اسْتَوْوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا؛
فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ»^(١).

وَجَعَلَ الرَّسُولُ ﷺ الْإِخْتِلَافَ الظَّاهِرَ - حَتَّى فِي الْوُقُوفِ فِي الصَّفِّ فِي
الصَّلَاةِ بِأَنْ يَتَقَدَّمَ رَجُلٌ شَيْئًا أَوْ يَتَأَخَّرَ رَجُلٌ شَيْئًا - جَعَلَ هَذَا الْإِخْتِلَافَ مَدْعَاةً
لِإِخْتِلَافِ الْقُلُوبِ، وَتَأْثِيرًا لِلظَّوَاهِرِ عَلَى الْبَوَاطِنِ بِإِنْعِكَاسَاتٍ غَيْرِ مَرْغُوبَةٍ، «وَلَا
تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ».

وَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِعِبَادَاتِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمَةِ، وَهِيَ مَهْمَا نَظَرْتَ فِيهَا وَتَأَمَّلْتَ
فِي مَطَاوِيهَا وَجَدْتَ أَنَّهَا تَدْعُو ظَاهِرًا وَبَاطِنًا إِلَى وَحْدَةِ الْأُمَّةِ، وَالْإِنْسِجَامِ الظَّاهِرِ
بَيْنَ أُمَّةٍ.

(١) أخرجه مسلم في «الصحیح»: ١ / ٣٢٣، رقم (٤٣٢)، من حديث: أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حَتَّى إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَجْعَلُ ذَلِكَ عَلَى التَّدْرِيجِ شَيْئًا فَشَيْئًا، حَتَّى فِي العِبَادَةِ الوَاحِدَةِ، فَيَجْعَلُ اللَّهُ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ النِّوَافِلَ فِي البُيُوتِ صَلَاةً وَقِيَامًا^(١)؛ لِأَنَّهَا مَدْعَاةٌ لِاجْتِهَادَاتٍ عَلَى حَسَبِ القُدْرَةِ.

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلْيَكُنْ كُلُّ إِنْسَانٍ فِيهَا بِحَيْثُ لَا يَرَاهُ أَحُوهُ، فَذَلِكَ أَبْعَدُ عَنِ الرِّيَاءِ، وَأَدْنَى إِلَى الإِخْلَاصِ، ثُمَّ هُوَ أَبْعَدُ عَنِ الإِخْتِلَافِ الظَّاهِرِ مَهْمَا كَانَ الأَمْرُ، ثُمَّ إِذَا جَاءَ وَقْتُ الصَّلَاةِ نَفَرَ الجَمْعُ كُلُّهُمْ إِلَى بُيُوتِ رَبِّهِمْ؛ لَكِنِّي يَقُومُوا وَرَاءَ إِمَامٍ وَاحِدٍ، يَقُومُونَ بِقِيَامِهِ، وَيَرُكَعُونَ بِرُكُوعِهِ، وَيَسْجُدُونَ بِسُجُودِهِ.

وَنَفَرٌ وَحَدَرٌ، وَرَغَبٌ وَرَهَبٌ فِي المُتَابَعَةِ لِلإِمَامِ وَعَدَمِ مُسَابَقَتِهِ^(٢)، حَتَّى إِنَّهُ رَهَبٌ مِنْ ذَلِكَ: بِأَنَّ الَّذِي يَرْفَعُ قَبْلَ إِمَامِهِ فِي الصَّلَاةِ مِنْ حَالِ رُكُوعِهِ، يُخْشَى

(١) أخرج البخاري في «الصحيح»: ٢/ ٢١٤ و ٢١٥، رقم (٧٣١)، ومسلم في «الصحيح»: ٥٣٩/١، رقم (٧٨١)، من حديث: زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اتَّخَذَ حُجْرَةً فِي رَمَضانَ، فَخَرَجَ يُصَلِّي فِيهَا، فَتَتَبَعَ إِلَيْهِ رِجَالٌ وَجَاءُوا يُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ، ثُمَّ جَاءُوا لَيْلَةً فَحَضَرُوا، وَأَبْطَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْهُمْ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ وَحَصَبُوا البَابَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُغْضَبًا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا زَالَ بِكُمْ صَنِيعُكُمْ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَكْتُبُ عَلَيْكُمْ، فَعَلَيْكُمْ بِالصَّلَاةِ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ خَيْرَ صَلَاةِ المَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلاَّ الصَّلَاةَ المَكْتُوبَةَ».

(٢) أخرج مسلم في «الصحيح»: ١/ ٣٢٠، رقم (٤٢٦)، من حديث: أَنَسُ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي

عَلَيْهِ أَنْ يَتَحَوَّلَ رَأْسُهُ إِلَى رَأْسِ حِمَارٍ^(١)؛ لِكَيْ يَكُونَ الْأَمْرُ وَاحِدًا بِلَا مُسَابِقَةٍ،
وَإِنَّمَا عَلَى اتِّبَاعِ مُتَسَاوِقٍ بِغَيْرِ مَا سَبَقَ وَلَا إِبْطَاءٍ.

ثُمَّ جَعَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هَذَا الْجَمْعَ يَكُونُ فِي مَسَاجِدِ الْأَحْيَاءِ مَدْفُوعًا إِلَى
مَسْجِدِ الْجُمُعَةِ الْجَامِعِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُصَلِّيَ جَمِيعُ أَهْلِ الْمَحَلَّةِ - مَهْمَا قَدَرُوا
عَلَى ذَلِكَ - فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ هُوَ الْمَسْجِدُ الْجَامِعُ، وَرَاءَ إِمَامٍ وَاحِدٍ، يَسْمَعُونَ
كَلَامًا وَاحِدًا، وَيَلْقَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

فَإِذَا مَا مَرَّ مَرُّ الْعَامِ وَآتَى الْعِيدَانَ، أَخْرَجَ اللَّهُ الْجَمْعَ إِلَى الْخَلَائِ؛ لِكَيْ يَرَى
بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَلِكَيْ يَبْدُو عِزُّ الْإِسْلَامِ بِتَكْبِيرٍ فِيهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

ثُمَّ إِذَا مَا مَرَّ مَرُّ الْأَيَّامِ نَفَرَ الْجَمْعُ - مِمَّنْ قَدَّرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُ ذَلِكَ -
فَذَهَبُوا إِلَى صَعِيدٍ وَاحِدٍ فِي عَرَفَاتٍ، عَلَى هَيْئَةٍ وَاحِدَةٍ، بِتَلْبِيَةِ وَاحِدَةٍ، وَإِقْبَالٍ
وَاحِدٍ، وَعَطَاءٍ يَخْتَلِفُ عَلَى حَسَبِ نِيَّاتِ الْقُلُوبِ.

إِمَامُكُمْ، فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ وَلَا بِالسُّجُودِ، وَلَا بِالْقِيَامِ وَلَا بِالْإِنْصِرَافِ...»،
الحدِيث، والمراد بالانصراف: السلام.

(١) أخرج البخاري في «الصحيح»: ١٨٢/٢ و ١٨٣، رقم (٦٩١)، ومسلم في
«الصحيح»: ٣٢٠/١ و ٣٢١، رقم (٤٢٧)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ، أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ رَأْسَهُ
رَأْسَ حِمَارٍ، أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ»، وفي رواية لمسلم: «...، أَنْ
يَجْعَلَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَجْهَ حِمَارٍ».

مَهْمَا نَظَرْتَ فِي هَذَا الدِّينِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَجَدْتَ دَعْوَةَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
لِلوَحْدَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّهُمْ كَالجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ
سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى^(١).



(١) أخرج البخاري في «الصحیح»: ١٠ / ٤٣٩، رقم (٦٠١١)، ومسلم في «الصحیح»: ٤ / ١٩٩٩، رقم (٢٥٨٦)، من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى».

وفي رواية البخاري، بلفظ: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ...» الحديث، وفي رواية لمسلم: «الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»، وفي رواية له أيضا: «الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنْ اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ».

والحديث بنحوه في «الصحیحین» أيضا من حديث: أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، بلفظ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»، وسيأتي إن شاء الله.

مَعَالِمُ الْوَحْدَةِ وَالْإِتِّلَافِ فِي رَمَضَانَ

هَذِهِ مُنَاسَبَةٌ مِنَ الْمُنَاسَبَاتِ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الْفَضْلِ مَا هُوَ مَعْلُومٌ
وَمِنَ الْخَيْرِ مَا هُوَ مَشْهُورٌ مَشْهُودٌ؛ هَذَا الشَّهْرُ الَّذِي فَرَضَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
رَبُّهُمْ صِيَامَهُ.

هَذِهِ الْمُنَاسَبَةُ الَّتِي كَرَّمَهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ ظَرْفًا لِنُزُولِ الْقُرْآنِ
الْعَظِيمِ فِيهَا، فَشَرَّفَهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِذِهِ الْفَرِيضَةِ، وَجَعَلَ هَذَا الشَّهْرَ مُبَارَكًا
أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ.

وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْعِتْقِ مِنَ النَّارِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ الْعُلَى،
وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ مُنْتَزِلًا وَمُتَفَجِّرًا مِنَ الْأَرْضِ مَا لَا يُقَادَرُ قَدْرُهُ، وَلَا يَعْرِفُ
مَدَاهُ إِلَّا الَّذِي أَعْطَاهُ.

هَذَا الشَّهْرُ الَّذِي هُوَ تَوْحِيدٌ ظَاهِرٌ لِلْأُمَّةِ بِمَسِّ جُوعٍ وَعَطَشٍ فِيهَا، وَإِقْبَالٌ
بِالْغَرِيزَةِ الْبَشَرِيَّةِ عَلَى الرَّيِّ، وَالْأَكْلِ بَعْدَ طُولِ السَّغْبِ وَالنَّصَبِ وَالتَّعَبِ.

جَعَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هَذَا الْأَمْرَ بِهِذِهِ الصُّورَةِ ظَاهِرًا مُؤَدِّيًا إِلَى ائْتِلافِهِمْ،
وَالِي اجْتِمَاعِ شَمْلِهِمْ، وَإِلَى تَرَاحُمِهِمْ، وَإِزَالَةِ مَا بَيْنَهُمْ مِمَّا عَلَقَ بِقُلُوبِهِمْ مِنْ

شَوَائِبِهِمْ وَأَحْقَادِهِمْ وَأَحْسَادِهِمْ، وَمَا يَتَأْتِي إِلَى الْقُلُوبِ مِنْ أُمُورِ الْغُلِّ وَمَا يَشُوبُهَا مِنْ تِلْكَ الْأَحْوالِ الَّتِي لَا تَسْرُ وَإِنَّمَا تَضُرُّ.

جَعَلَ اللهُ هَذَا الشَّهْرَ مَدْعَاةً لِدَلِكِ، فَهُوَ أَمْرٌ شَرْعِيٌّ لَا أَمْرٌ كَوْنِيٌّ؛ لِإِنَّهُ لَوْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَذَلِكَ - ضَرْبَةً لِأَرْبٍ - لَكَانَ، وَلَكِنْ هُوَ أَمْرٌ بِدَلِكِ، فَمِنْهُمْ الطَّائِعُ وَمِنْهُمْ الْعَاصِي، وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللهِ إِلَّا هَالِكٌ.

جَعَلَ اللهُ الشَّهْرَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ، وَعَلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى الْوَحْدَةِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، حَتَّى فِي أَصْلِ الْجُوعِ بَعْدَ نَفْيِ الشَّبَعِ، وَبَعْدَ نَفْيِ الرَّيِّ، وَبَعْدَ التَّخْلِيِّ عَنِ مَظَاهِرِ آتَاهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَنْ أَرَادَ مِنْ عِبَادَةٍ؛ تَمَلُّكًا وَقُدْرَةً.

ثُمَّ يَجْعَلُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ذَلِكَ مُرْتَبَطًا بِأَذَانٍ وَاحِدٍ بَدَأَ وَمُنْتَهَى، وَبِقِيَامٍ وَاحِدٍ فِي مَسَاجِدِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

جَعَلَ اللهُ الشَّهْرَ بِمَا فِيهِ مِنْ تِلْكَ النَّفْحَاتِ الْقُدْسِيَّةِ الَّتِي تَنْزِلُ عَلَى الْبَرِيَّةِ فِي هَذَا الشَّهْرِ مِمَّنْ أَحْسَنَ اسْتِقْبَالَهَا بِقَلْبٍ تَقِيٍّ وَضَمِيرٍ نَقِيٍّ.

جَعَلَ اللهُ الشَّهْرَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ وَعَلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ مَدْعَاةً لِلْأُخُوَّةِ فِي أَجْلِ مَجَالِيهَا، وَمَدْعَاةً لِلتَّوْحِيدِ عَلَى أَعْمَقِ صُورِهِ وَأَصْفَاهَا.

جَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الشَّهْرَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ وَعَلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ.

وَالرُّسُولُ ﷺ لَمْ يَأْتِ بِشَرَعٍ يُفَرِّقُ النَّاسَ، وَإِنَّمَا أَتَى الرَّسُولُ ﷺ بِمَا يُوَحِّدُ الْأُمَّةَ، وَيَجْعَلُهَا جَسَدًا وَاحِدًا، نَابِضًا بِقَلْبٍ وَاحِدٍ، مُتَحَرِّكًا بِحَيَاةٍ وَاحِدَةٍ، يَتَأَلَّمُ الْأَلَمَ كُلَّهُ إِذَا مَا أُصِيبَ عَضْوٌ مِنْ أَعْضَائِهِ.

كَذَلِكَ جَاءَ مُحَمَّدٌ ﷺ دَاعِيَةً ائْتِلافٍ لَا دَاعِيَةً اِخْتِلافٍ؛ لِكَيْ يَمْحُوَ عَنِ الْقُلُوبِ أَوْضارَهَا وَقاذُوراتِها؛ لِكَيْ تَكُونَ صالِحَةً، وَمَحَلًّا قابِلاً لِتَلْقَى أَنْوارَ عَطاءاتِ رَبِّها.

جاءَ الرَّسُولُ ﷺ؛ لِيُخْرِجَ الْإِنْسَانَ مِنْ حَدِّ الْحَيَوانِيَّةِ إِلى حَدِّ الْإِنسانِيَّةِ الَّتِي أَرادَها اللهُ رَبُّ الْعالَمِينَ لِلْإِنسانِ.

لَمْ يَأْتِ مُحَمَّدٌ ﷺ بِشَرَعٍ فِيهِ دَعْوَةٌ لِلِاِخْتِلافِ، وَإِنَّمَا يَتَأْتى الْاِخْتِلافُ لِأَسبابٍ وَلِأَسبابٍ كَثيرةٍ تُحَصِّرُ أَوْ لَا تُحَصِّرُ، لَيْسَ هَذَا هُوَ الشَّانُ هاهُنَا وَإِنَّمَا يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَلْتَمِسَ إِلى مَقاصِدِ الشَّرِيعَةِ فِي أَجلى مَعانِيها، وَأَبهى مَجالِيها عَلى حَسَبِ ما جاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ. (*)



(*) ما مرَّ ذِكرُهُ مُختَصراً مِنْ حُطْبَةِ: «رَمَضَانُ دَعْوَةٌ إِلى الْاِئْتِلافِ» - الجُمُعَةُ ٢٤ مِنْ شَعْبَانَ

الْحَثُّ عَلَى الإِئتِلافِ وَالإِجتِماعِ

فِيأ أَيُّهَا الأَحَبَّةُ فِي الله! اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى، وَاحْمَدُوا رَبَّكُمْ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ نِعْمَةِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، وَقُومُوا بِمَا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنَ التَّحَابِّ، وَالتَّعَاوُنِ، وَالإِجتِماعِ عَلَى المَصالِحِ؛ لِتَكُونُوا مِنَ الفَائِزِينَ.

اجْتَمِعُوا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَتَعَاوَنُوا وَلَا تَخَاضِلُوا، وَتَأَلَّفُوا وَلَا تَنافَرُوا، وَكُونُوا فِي جَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ مُخْلِصِينَ.

إِنَّ بِالِاجْتِماعِ تَتَفَقُّ الكَلِمَةُ، وَتَجْتَمِعُ الأَراءُ، وَتَتِمُّ المَصالِحُ، إِنَّ المَصالِحَ العَامَّةَ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ هَدَفًا لِلأَغراضِ الشَّخْصِيَّةِ، وَالعُلُوِّ الفَرْدِيِّ، إِنَّ المَصالِحَ العَامَّةَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ فَوْقَ جَمِيعِ المُسْتَوِياتِ الَّتِي دُونَهَا.

يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مَبْسُوطَةً بِذاتِهَا وَلِذاتِهَا، يَجِبُ أَنْ تُدْرَسَ مِنْ جَمِيعِ النُّواحِي، وَأَنْ تُسْتَخْلَصَ فِيهَا جَمِيعُ الأَراءِ، ثُمَّ يُنظَرُ فِيما يُمَكِّنُ مِنَ الطَّرِيقِ المُوصِلَةِ إِلَيْهَا، فَيَتَفَقَّ عَلَيْهَا وَيَمْشِي عَلَيْهَا.

وَالإِنسانُ مَتَى خَلَصَتْ نِيَّتُهُ، وَصَلِحَ عَمَلُهُ بِالِاجْتِهَادِ وَالنَّظَرِ فِي المَصالِحِ، وَسُلُوكِ أَقْرَبِ الطَّرِيقِ المُوصِلَةِ إِلَيْهَا، مَتَى اتَّصَفَ بِهِذَيْنِ الأَمْرَيْنِ: الإِخْلاصُ وَالِاجْتِهَادُ فِي الإِصْلاحِ؛ صَلِحَتِ الأَشْياءُ وَقَامَتِ الأُمُورُ.

وَمَتَى نَقَصَ أَحَدُ الْأُمْرَيْنِ إِمَّا الإِخْلَاصَ وَإِمَّا الإِجْتِهَادَ؛ فَإِنَّهُ يُفَوِّتُ مِنَ الْمَصْلَحَةِ بِقَدْرِ ذَلِكَ.

إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ إِذَا نَظَرَ إِلَى الْأُمُورِ نَظَرَ إِلَيْهَا نَظْرَةَ اسْتِغْلَالٍ لِمَصْلَحَتِهِ الْخَاصَّةِ، أَوْ نَظَرَ إِلَيْهَا نَظْرَةً قَاصِرَةً مِنْ جَانِبٍ وَاحِدٍ، وَبِذَلِكَ تَخْتَلُّ الْأُمُورُ وَتَفُوتُ الْمَصَالِحُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! إِنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْنَا كَأَبْنَاءِ أُمَّةٍ وَاحِدَةٍ أَنْ نَسْعَى لِهَدَفٍ وَاحِدٍ هُوَ إِصْلَاحُ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِصْلَاحًا دِينِيًّا وَدُنْيَوِيًّا بِقَدْرِ مَا يُمَكِّنُ، وَلَنْ يُمَكِّنَ ذَلِكَ حَتَّى تَتَّفِقَ كَلِمَتُنَا، وَنَتْرَكَ الْمُنَازَعَاتِ بَيْنَنَا، وَالْمُعَارَضَاتِ الَّتِي لَا تُحَقِّقُ هَدَفًا، بَلْ رَبَّمَا تَفُوتُ مَقْصُودًا، وَتُعَدِّمُ مَوْجُودًا.

إِنَّ الْكَلِمَةَ إِذَا تَفَرَّقَتْ دَخَلَتْ الْأُمُورَ الْأَهْوَاءَ وَالضَّغَائِنُ، وَصَارَ كُلُّ وَاحِدٍ يَسْعَى لِتَنْفِيذِ كَلِمَتِهِ، وَإِنْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْحَقَّ وَالْعَدْلَ فِي خِلَافِهَا.

وَلَكِنْ إِذَا اجْتَمَعْنَا مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ، وَدَرَسْنَا الْمَوْضُوعَ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ، وَاتَّفَقْنَا عَلَى مَا نَرَاهُ مُمَكِّنًا نَافِعًا، مِنْ غَيْرِ أَنْ نَنْظُرَ إِلَى مَصَالِحِنَا الْخَاصَّةِ، حَصَلَ لَنَا بِذَلِكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ.

وَتَقُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْكُمْ مَتَى أَخْلَصْتُمْ النِّيَّةَ، وَسَلَكْتُمْ الْحِكْمَةَ فِي الْحُصُولِ عَلَى الْمَطْلُوبِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُسِّرُ لَكُمْ الْأُمُورَ، وَيُصْلِحُ لَكُمْ الْأَعْمَالَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ! لَقَدْ مَثَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ بِالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا^(١)، وَهَذَا هُوَ الْمِثَالُ الصَّحِيحُ لِكُلِّ شَعْبٍ مُؤْمِنٍ، أَنْ يَتَعَاوَنَ أَفْرَادُهُ فِي إِقَامَةِ بِنَائِهِ، بِحَيْثُ يَكُونُ الْغَرَضُ تَشْيِيدَ هَذَا الْبِنَاءِ وَتَمَاسِكَهُ وَتَرَاصُّهُ، بِحَيْثُ يَكْمَلُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَيَقْوَمُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَلَا إِيمَانَ كَامِلَ مَعَ التَّفَرُّقِ، وَلَا بِنَاءَ مُحْكَمٍ مَعَ التَّفَكُّكِ.

أَرَأَيْتُمْ لَوْ أُخِذَ مِنَ الْبِنَاءِ لَبْنَةٌ؛ أَلَا يَنْقُصُ هَذَا الْبِنَاءُ؟! فَكَيْفَ إِذَا كَانَتِ اللَّبَنَاتُ مُتَنَازِرَةً مُتَنَافِرَةً، بَلْ كُلُّ وَاحِدَةٍ تَهْدِمُ الْأُخْرَى وَتَنْزِلُ لَهَا!!

فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ! اجْتَمِعُوا عَلَى الْحَقِّ، وَتَعَاوَنُوا عَلَيْهِ، وَلَا تَبْعُدُوا شَطَطًا، وَلَا تَقُولُوا بَاطِلًا، وَتَنَاصَحُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ، وَاتَّقُوا اللَّهَ؛ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ. (*)



(١) أخرج البخاري في «الصحیح»: ٥٦٥/١، رقم (٤٨١)، ومسلم في «الصحیح»: ١٩٩٩/٤، رقم (٢٥٨٥)، من حديث: أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «التَّحْذِيرُ مِنَ الْفُرْقَةِ وَالإِخْتِلافِ وَحُقُوقِ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ» - الْمُحَاصِرَةُ الْأُولَى - الثَّلَاثَاءُ ٢٥ مِنْ صَفَرِ ١٤٣٩ هـ / ١٤-١١-٢٠١٧ م (كَلِمَةٌ لِإِخْوَانِنَا فِي لَبِيَا).

الْحُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، هُوَ يَتَوَلَّى
الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ، صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمِينَ
مُتَلَاذِمِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ وَرَضِيَ عَنْهُمْ، وَكَذَلِكَ مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ
مِنْ أَهْلِ الْهُدَى وَالْتَّقَى وَالْعَفَافِ وَالْغِنَى فِي الْعِلْمِ، مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ: أَنَّهُمْ يُرَاعُونَ
الْمَصَالِحَ الْعُلْيَا لِلأُمَّةِ، يُقَدِّمُونَ مَصْلَحَةَ الأُمَّةِ عَلَى الْمَصْلَحَةِ الشَّخْصِيَّةِ.

لَا يَعْتَبِرُونَ الْمَصْلَحَةَ الْخَاصَّةَ وَلَا يُبَالُونَ بِهَا، وَيَنْظُرُونَ إِلَى الْمَصَالِحِ الْعُلْيَا
لِلأُمَّةِ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ مَا نَالَ مِنَ الأُمَّةِ عَدُوٌّ مِثْلَمَا نَالَتِ الأُمَّةُ مِنْ نَفْسِهَا؛ بِاخْتِلَافِهَا،
وَتَدَابُرِ قُلُوبِ أبنائها!!

وَكَيفَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّ هَذَا هُوَ حَظُّ
الشَّيْطَانِ مِنْهُمْ؛ «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيْسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ،
وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»!!! رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(١).

(١) أخرجه مسلم في «الصحیح»: ٤ / ٢١٦٦، رقم (٢٨١٢)، من حديث: جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم كَانُوا يُرَاعُونَ مَصْلَحَةَ الأُمَّةِ العُلَيَّا، يَحْرِصُونَ عَلَى الأَرْضِ
الإِسْلامِيَّةِ وَالوَطَنِ الإِسْلامِيِّ، يُقَاتِلُونَ دُونَهُ، وَيُجَاهِدُونَ مَنْ أَرَادَ اغْتِصَابَهُ
وَالإِعْتِدَاءَ عَلَيْهِ، وَلَا يُحْدِثُونَ الفَوْضَى وَلَا الشَّغْبَ فِيهِ، وَلَا يَكُونُونَ إِلى ذَلِكِ
سَبَبًا وَلَوْ بِكَلِمَةٍ.

فَالنَّبِيُّ صلوات الله وسلامته عليه هُوَ الَّذِي عَلمَهُمْ، وَهُوَ الَّذِي رَبَّاهُمْ، وَهَذَا سَبِيلُ سَلْفِكَ
الصَّالِحِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

فَاتَّقِ اللهَ فِي نَفْسِكَ؛ فَإِنَّكَ إِِنْ لَمْ تَتَّبِعْهُ؛ فَإِنَّمَا تُقَامِرُ بِأَخْرَجِكَ، وَكَيْسَ لَكَ
بَعْدَهَا مِنْ بَعْدٍ؛ فَاتَّقِ اللهَ فِي مُسْتَقْبَلِكَ الحَقِّ.

إِيَّاكَ وَتَحزُّبَاتِ الخَلْقِ، وَأَقْبِلْ عَلَى دِينِكَ، وَإِيَّاكَ وَالتَّعَصُّبَ لِلرَّجَالِ؛ فَإِنَّ
ذَلِكَ مُهْلِكٌ أَيْمًا إِهْلَاكٍ.

الدِّينُ وَاضِحٌ وَمُبِينٌ، وَعَلَيْهِ نُورٌ وَلَا أَلَاءَ، وَفِي السَّنَةِ بَرْدٌ اليَقِينِ وَطُمَأْنِينَةٌ
الإِيمَانِ.

اتَّقُوا اللهَ.

أَيَّتْهَا الأُمَّةُ المَرْحُومَةُ؛ تَمَسَّكِي بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صلوات الله وسلامته عليه بِفَهْمِ
أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلوات الله وسلامته عليه وَرَضِيَ عَنْهُمْ.

عُودِي - أَيَّتْهَا الأُمَّةُ - إِلى الأَمْرِ العَتِيقِ، إِلى الأَمْرِ الأَوَّلِ، ثُمَّ يَخْرُجُ النَّاسُ
بَعْدَ ذَلِكِ مِنَ الخِلَافِ، تَتَأَلَّفُ القُلُوبُ، وَتَتَوَحَّدُ الوُجُوهَةُ، وَتَتَازَرُ القُوَى، وَتَسَانَدُ
الأَبْدَانُ، وَتَتَعَاضَدُ السَّوَاعِدُ؛ بِنَاءً فِي هَذَا الوَطَنِ.

اتَّقُوا اللَّهَ فِي وَطَنِكُمْ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي أَوْطَانِكُمْ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ -؛
فَإِنَّهَا مُسْتَهْدَفَةٌ مَرَادَةٌ مَطْلُوبَةٌ.

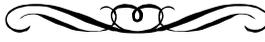
تَازَرُوا، وَتَعَاوَنُوا، وَنَمُّوا الْمَوْجُودَ؛ حَتَّى تُحْصِلُوا الْمَفْقُودَ، وَلَا تَتَّبِعُوا
السَّرَابَ؛ فَإِنَّهُ هَبَاءٌ يُفْضِي إِلَى يَبَابٍ.

نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعِصِمَهُ مِنَ الْفِتَنِ ظَاهِرِهَا وَبَاطِنِهَا؛ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،
وَأَنْ يَعِصِمَ جَمِيعَ أَوْطَانِ الْمُسْلِمِينَ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «أَيُّهَا الْمِصْرِيُّونَ! لَا عُدْرَ لَكُمْ!!» - ٢٩ مِنْ صَفَرِ ١٤٣٧ هـ -



الفهرس

- ٢ * الخُطْبَةُ الْأُولَى
- ٢ النَّبِيُّ ﷺ دَاعِيَةٌ مَحَبَّةٍ وَاتِّلَافٍ
- ٤ مَظَاهِرُ وَحْدَةِ الْأُمَّةِ فِي الْعِبَادَاتِ
- ٨ مَعَالِمُ الْوَحْدَةِ وَالْإِتِّلَافِ فِي رَمَضَانَ
- ١١ الْحَثُّ عَلَى الْإِتِّلَافِ وَالْإِجْتِمَاعِ
- ١٤ * الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ
- ١٤ مَرَاعَةُ الْمَصْلَحَةِ الْعُلْيَا لِلْأُمَّةِ سَبِيلٌ لَوْحَدَتِهَا
- ١٧ الفهرس